حملات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار على صَعيد مِصْر

(٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م)

د. عمر جمال محمد علي

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب–جامعة سوهاج

مقدمة:

اهتم سلاطين المماليك بالصَّعِيد، أو الوَجْه القِبْلي اهتمامًا كبيرًا؛ لما يتمتع به من موقع جغرافي فريد كان له أثر كبير في تجارة مصر الداخلية والخارجية. وقد قسم الصَّعِيد منذ فجر الإسلام إلى ثلاثة أقسام: الصَّعِيد الأدْنى، والصَّعِيد الأوْسَط، والصَّعِيد الأعْلى[١]، كما قُسم تبعًا للتطور الإداري إلى تسعة أعمال أو أقاليم، وقد حدثت لهذه التقسيمات الإدارية بعض التغييرات، بحذف بعض النواحي من بعض الأعمال وإدماجها في أعمال أخرى[٢].

كما قُسّمت الوظائف الإدارية بصعيد مصر في عصر سلاطين المماليك الجراكسة إلى أربع طبقات، الطبقة الأولى: النواب، حيث كانت نيابة الوجه القبلي من النيابات المستحدثة في عهد السُّلْطان الظاهر بَرْقُوق(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م)، وكان مقرها أسْيُوط[٣]، وحكمه على جميع بلاد الصَّعِيد، وكان القائم بها قبل ذلك يُسمى والى الولاة، ولم يكن لها هذه الأهمية بسبب هدوء الصَّعِيد، وحين ازدادت الأخطار التي هددت مصر من النوبة والحبشة استحدث السُّلْطان بَرْقُوق هذه الوظيفة بجانب وظيفة والي أُسوان[٤]. أما الطبقة الثانية فهي الكُشَّاف[٥]، وهذه الوظيفة كانت موجودة قبل استحداث وظيفة نيابة الوجه القبلي، حيث كان هناك كاشف بالبَهْنَساوية[٦] والفيوم[٧]، أما باقي الوجه القبلي فأمره راجع إلى نائبه في أسيوط، والطبقة الثالثة هم ولاة الوجه القبلي وينقسمون إلى مرتبتين الأولى أمراء الطبلخاناه[٨]، وهم أربعة: والي البَهْنَسا، والي الأُشْمُونين[٩]، والي قوص[١٠]وإخْمِيم[١١] وهو أعظم ولاة الوجه القبلي، ثم والي أُسوان، والمرتبة الثانية أمراء العشرات[١٢] وهم: والي الجيزة، ووالي إطْفيح[١٣]، ثم والي مَنْفَلُوط[١٤]. أما الطبقة الرابعة فهم أمراء العربان، وكانت في ثلاثة أعمال: عمل قوص، وعمل الأشمونين وعمل البَهْنَسا[١٥]، وهذه الوظائف كان يحدث بها تغييرات من فترة لأخرى على نحو ما حدث للتقسيمات الإدارية.

وقد توافدت القبائل العربية على الصَّعِيد حتى استقرت فيه فعليًا في العصر الفاطمي، ومنذ ذلك الوقت أخذت كل قبيلة تسيطر على منطقة معينة بالوجه القبلي، وظهرت في صورة أحلاف عربية كان هدفها مواجهة تزايد العنصر التركي[١٦]، وفيسنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م، نزلت قبيلة هَوَّارة[١٧] من البحيرة إلى الصَّعِيد، وأقطعها الأمير بَرْقُوق –السُّلْطان فيما بعد– ناحية جِرْجا[١٨] فعمروها، بعد أن كانت خرابًا واتسع نفوذها في الوجه القبلي، وانتشرت في أرجائه، وبسطت يدها على بلاد الصَّعِيد من الأعمال البَهْنَساوية إلى أُسوان وما

يليها، وأقطعوا فيها الإقطاعات، وأذعنت لها سائر العربان بالوجه القبلي قاطبة، وانحازوا إليها وصاروا تحت قيادتها[١٩].

ومنذ أن انتقلت قبيلة هَوَّارة إلى الصَّعِيد انقسمت إلى فرقتين الأولى: بادين واستوطنوا الأعمال البَهْنَساوية، وعرفوا بهَوَّارة البحرية، وكانت الإمرة فيها لبني مازن ثم صارت إلى أولاد غريب، وبعد ذلك عادت إلى أولاد مازن، ثم تركت الإمرة، وانقسموا إلى خمسة أخماس، وجُعل لكل خُمس شيخ له الأمر على طائفته، والثانية: بُندار، وعرفوا بهَوَّارة القبلية، ومقرها جِرْجا وما يليها من الصَّعِيد الأعلى إلى أُسوان، والإمرة فيها لبني عمر بن عبد العزيز[٢٠]، وكانوا يمتازون بكثرة أموالهم ورجالهم[٢١].

وقد ازداد نفوذ هَوَّارة بالصَّعِيد مع تولي عمر بن عبد العزيز الهوّاري الإمرة، وتوثقت علاقتها بالسلطنة المملوكية في إطار المنافع المتبادلة؛ فالطاعة والأمن والمساعدة الحربية مقابل النفوذ والسيطرة على الصَّعِيد، فبنو عمر يساندون الدولة في القضاء على تمرد العرب بالصَّعِيد، ولو كانوا من بني عمومتهم- بني غريب- ويؤدون فروض الطاعة من تقديم الهدايا إلى السُّلْطان على العادة، كالخيول وغيرها، هذا بالإضافة إلى دفع الخراج المقرر على البلاد المُقطَعة لهم، ومساندة الدولة بفرقة عسكرية عند حاجتها إلى ذلك؛ لقمع حركات المعارضة[٢٢]، كما كانت قبيلة هَوَّارة من جملة القبائل الممثلة في الجيش المملوكي، وكانت قوتها القتالية في ذلك الوقت تقدر بأربعة وعشرين ألف مقاتل[٢٣].

وعلى الرغم من تمتع زعماء العُربان بالإقطاعات الوفيرة والاستقلال المحلي المحدود، بل ووراثة المشيخات في قبائلهم ونواحيهم، إلا أن ثوراتهم كانت مزمنة وعنيفة، ولم يترددوا في الخروج على السلطنة المملوكية والثورة ضدها، إذا لاحت لهم الفرصة. وكان العامل الأساسي في ثورات العُربان هو الكراهية العنصرية للمماليك الذين مسهم الرق، وازدادت ثوراتهم وفتنهم في عصر سلاطين المماليك الجراكسة[٢٤]، وكانت الدولة تقوم بمواجهتهم والقضاء على تمردهم عن طريق الكُشَّاف وولاة الأقاليم، أو ترسل إليهم تجاريد[٢٥] عسكرية من القاهرة يقودها أحد كبار الأمراء، وكان من بين هؤلاء الأمراء الذين توجهوا إلى الصعيد لإخضاع العُربان الأميريَشْبك من مهدي[٢٦]، الذي قام بأربع حملات عسكرية[٢٧]، وهو ما سوف تعالجه الدراسة فيما يلي.

علاقة الأمير يَشْبك من مَهدي بالصَّعِيد:

بدأت علاقة الأمير يَشْبك من مهدي بالصَّعِيد في صفر سنة٨٧١هـ/١٤٦٦م، عندما أرسله السُّلْطان خُشْقَدَم(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)، إلى هناك ووَلاَّهُ في وظيفة كشف إقليم البَهْنَسا، ثم استقر في ربيع الآخر في وظيفة كاشف الكُشَّاف[٢٨] بالوجه القبلي بأسره، وكان لهذه الوظيفة أهميتها بالنسبة للأمير يَشْبك؛ فقد اعتبرها بعض المؤرخين أول عظمته وإظهاره في الرئاسة، ثم سرعان ما ثارت عليه قبيلة هَوَّارة بقيادة يونس بن إسماعيل[٢٩] في شعبان من السنة نفسها، فأرسل إلى السُّلْطان خُشْقَدَم يخبره بالأمر ويطلب منه

إمداده بالجند، فأرسل له الأمير قايتباي المحمودي– السُّلْطان فيما بعد– نجدة له وبرفقته عدد من المماليك السُّلْطانية، ثم وردت الأخبار بأن الأمير يَشْبكاشتبك معهم وكسرهم وقتل منهم جماعة، وأرسل رؤوس القتلى إلى القاهرة، وكانوا ثلاثين رأسًا من رؤوس أكابرهم، وذلك قبل أن تصل إليه التجريدة العسكرية من القاهرة[٣٠].

وقد أشار البقاعي[٣١]قبل هذه الحادثة بقليل إلى قيام العربان بقطع الطريق على أحد الأشخاص المكلفين بحمل مال الجوالي[٣٢]، الذي قُدّر بنحو ثلاثة آلاف دينار، وأخذوا ما معه. ويبدو أن كثرة هذه الأموال قد دفعت العربان إلى الاستيلاء عليها، مستغلين عدم وجود قوات كافية لتأمينها أثناء نقلها إلى القاهرة، إلى جانب عدم دراية الأمير يَشْبك بطبيعة الأمور في الصَّعِيد؛ لقِصر الفترة الزمنية التي قضاها هُناك، كما يُمكن أن يكون ذلك من بين الأسباب وراء اشتباكه معهم في ذلك الوقت.

وتطورت الأوضاع في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/ سبتمبر١٤٦٧م،حيث خرج الأمير يونس الهوّاري عن طاعة السُّلْطان وقاد هَوَّارة للعصيان، ثم هاجم الأمير يَشْبك كاشف الوجه القبلي ومن معه في جِرْجا، ووقعت بينهم حرب شديدة قُتل فيها عدد كبير من العسكر السُّلْطاني، وهُزم الأمير يَشْبك وجُرح في وجهه ويده، وكاد أن يُقتل، وفر هاربًا إلى أسيوط، فأرسل يخبر السُّلْطان خُشْقَدَم بما حدث، وأن الرأي يقتضي عودة سليمان بن عيسى[٣٣] لإمرة هَوَّارة، وعزل يونس بن إسماعيل، وأن يبعث تجريدة إلى الصَّعِيد على وجه السرعة، وإلا خربت بلاد الصَّعِيد عن آخرها، فأرسل السُّلْطان الأمير قَجْمَاس الإسحاقي[٣٤] بخلعة الولاية لسليمان بن عيسى، ثم عين تجريدة له تضم أربعمائة من الجند، عليها الأمير قَرْقَماس الجَلَب[٣٥] ويَشْبك الفقيه[٣٦]، وعدد من الأمراء العشرات والمماليك السُّلْطانية، وعلى الرغم من مرض السُّلْطان الشديد فإنه ظل يستحث الأمراء للسفر إلى الصَّعِيد، حتى نزل الأميران قَرْقَماس ويَشْبك الفقيه إلى المراكب في ساحل بولاق ينتظران من عُيّن معهم، فلم يأتهم أحد من المماليك السُّلْطانية، الذين وجدوا في مرض السُّلْطان ذريعة لعدم مشاركتهم في هذه الحملة، وفي هذه الأثناء تُوفي السُّلْطان خُشْقَدَم؛ مما حال دون إرسال هذه التجريدة إلى الصَّعِيد[٣٧].

ومما سبق يتضح رغبة السُّلْطان خُشْقَدَم وإصراره على إرسال الأمراء والمماليك السُّلْطانية، لدرجة أنه كان يستحثهم على الخروج وهو على فراش موته؛ وذلك لتشتيت شملهم وإبعادهم عن القاهرة من ناحية، ولتأديب الخارجين على سلطة الدولة، وإحكام قبضته على الصَّعِيد من ناحية أخرى. كما يتبين استخدام الدولة للأمير سليمان بن عيسى الهوّاري في مواجهة ابن عمه الأمير يونس بن إسماعيل الهوّاري، لإحداث انشقاق داخل قبيلة هَوَّارة.

وعندما اعتلى الأمير يَلَباي[٣٨] السلطنة في ربيع الآخر سنة ٨٧٢هـ/أكتوبر ١٤٦٧م، بعد وفاة الظاهر خُشْقَدَم، كان أول ما قام به أن أمر الأمراء المعينين للسفر في التجريدة بالتوجه على الفور إلى الصَّعِيد،

على الرغم من مكاتبة الأمير يَشْبك بأن الفتنة هدأت بولاية سليمان بن عيسى، غير أن السُّلْطان رفض ذلك وأصر على خروج الأمراء[٣٩].

وفي عهد السُّلْطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) ارتفعت مكانة الأمير يَشْبك، وأغدق عليه السُّلْطان من المناصب الدَّوَادارِيَّة الكبرى[٤٠] وكشوفية الكُشَّاف والوزارة وغيرها، وأصبح مُدبر الدولة والمتحكم في أمورها، حتى صار صاحب العَقْدِ والحَلِّ[٤١]، ويرجع ذلك إلى مساندة الأمير يَشْبك له في الوصول إلى السلطنة، فحفظ له السُّلْطان هذا الصنيع.

وقد توجه الأمير يَشْبك إلى الصَّعِيد في أربع حملات عسكرية، لإخضاع العربان وجمع الأموال من هُناك، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التاريخية لا تعطي تفاصيل كثيرة عن هذه الحملات، حتى أن طبيعة المعلومات التي أوردها المؤرخون المعاصرون تكاد تكون متماثلة إلى حد كبير في تناولها لأحداثها، وإن كان هُناك اختلاف في وجهة نظر مؤرخيها لبعض الأفعال التي أقدم عليها الأمير يَشْبك هُناك بين مؤيد وناقد، وهو ما سوف نتعرض له فيما يلي.

حملة الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الأولى على الصَّعِيد(٨٧٣هـ/١٤٦٨م):

قاد الأمير يَشْبك الدَّوَادَار حملة قوية على الصَّعِيد في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م،ولم تُشر المصادر المعاصرة إلى المكان الذي توجه إليه، أو تاريخ خروجه من القاهرة، أو عدد الأمراء والمماليك الذين خرجوا معه، سوى أنه عاد في شهر جُمادى الأولى من السنة نفسها بعد أن نهب فيها بني هَلْبَا[٤٢]، وأسر نساءهم وأولادهم، وقد خرَّب عدة قرى من شرقي بلاد الصَّعِيد، وأحضر معه نحو أربعمائة امرأة، أُنزلن بساحل بولاق، وقد مات كثير منهن من الجوع، وتصدق عليهن أهل الخير بالأقوات والصدقات، الأمر الذي دفع أزواجهن بقطع الطريق وأخذ بعض مراكب الغلال القادمة من بلاد الصَّعِيد، والمتجهة إلى القاهرة، ونهبوا ما فيها ثم أحرقوا المراكب، وهو ما أدى إلى ارتفاع سعر القمح، وغيره من الغلال[٤٣].

وقد اختلف المؤرخون حول ما فعله الأمير يَشْبك في الصَّعِيد، فقد أشار المؤرخ ابن تَغْري بِرْدِي[٤٤]إلى أن أفعاله: «**كان فيها مصالح ومفاسد، فمن المصالح قتل ابن جامع وسلخه وجماعة أخر ونهب بني هَلْبَا المذكورين فإنهم كانوا أشر من كان، ومن المفاسد خراب البلاد التي كانوا بنو هَلْبَا تأوي إليها وحضور النسوة إلى القاهرة**».

وقد اتفق المؤرخ عبد الباسط بن خليل الظاهر يمع ما ذكره المؤرخ ابن ابن تَغْري بِرْدِي، واستنكر إحضار الأمير يَشْبك لهؤلاء النسوة، دون معرفة الغرض من وراء إحضارهن، وتخريبه عددًا من بلاد الوجه القبلي، حتى كثر الدعاء عليه؛ لسوء أفعاله وارتفاع أسعار الغلال، وأنه« **لم يحصل بخروج يَشْبك من الفائدة، غير إراحته الخلق من عطاء الله بن جامع، فإنه قبض عليه وقتله وسلخه، وكان من كبار المفسدين بتلك**

النواحي، نعم، وقتل جماعه أخرى من شرار بني هلبا ونهبهم، لكن بعد خراب عدّة بلاد، والتشويش على كثير من العباد، بما لا مصلحة فيه...لا سيَّما النسوة اللاتي أحضرهنّ فإنه أضر بحالهن»[٤٥].

وعلى العكس من ذلك فإن المؤرخ ابن الصيرفي[٤٦]أشاد بما فعله الأمير يَشْبك، وأفاض في ذكر ألقابه ووصفه بالمقر الأشرف المعظم المفخم عظيم الدنيا ومشيرها ووزيرها وداوادارها الكبير، وصاحب حَلّها وعَقْدها، ثم اعترض على كلام المؤرخ ابن تَغْري برْدِيمبررًا أفعال الأمير يَشْبك بأنه «**لولا وجود مثل هذا الملك الذي حرمته ملأت الأقطار على رؤوس الأشهاد وسفره إلى الوجه القبلي وتمهيده وتنظيفه من المفسدين وإرداعهم بالقتل والنهب وأمثال ذلك لرأينا ما لا يطاق وصفه**». وهكذا فقد برر ابن الصيرفي أفعال الأميريَشْبك، وقامبتبرئة ساحته، دون أن يذكر الذنب الذي اقترفته هؤلاء النسوة وأولادهن الصغار، وهم الطرف الأضعف في هذا الصراع، حتى أصبحوا أداة لمعاقبة رجالهم المتمردين.

حملة الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الثانية على الصَّعِيد(المحرم- شعبان ٨٧٤هـ/أغسطس١٤٦٩-فبراير ١٤٧٠م):

توجه الأمير يَشْبك الدَّوَادَار إلى الصعيد على رأس حملة عسكرية، بغرض جمع الغلال وأموال الخراج من العُربان، خاصة أن السُّلْطان الأشرف قايتباى كان مهتمًا بجمع الأموال لتغطية نفقات الحروب المتتالية مع شاه سَوَّار[٤٧] في شمال بلاد الشام. وتُعد هذه الحملة من أكبر الحملات التي قام بها الأمير يَشْبك الدَّوَادَار على الصَّعِيد؛ نظرًا لكثرة القوة العسكرية المصاحبة له، حيث ضمت خمسمائة من مماليكه المُشتَروات[٤٨]، ومائتين وأربعين من المشاة؛ إلى جانب المماليك السُّلْطانية الذين اختارهم السُّلْطان الأشرف قايتباي للذهاب معه[٤٩]، بالإضافة إلى طول الفترة الزمنية التي قضاها هناك، التي استغرقت حوالي سبعة أشهر من ٢٨ المحرم -١٤ شعبان ٨٧٤هـ/٦ أغسطس١٤٦٩-١٥ فبراير ١٤٧٠م، وهي فترة زمنية طويلة، إذا ما قورنت بالحملات الأخرى.

وقد انفرد ابن الصيرفي[٥٠] بأخبار هذه الحملة، وأورد بعض أحداثها، حيث أشار إلى وصول كتاب الأمير يَشْبك من الصَّعِيد إلى القاهرة في أوائل شهر صفر، الذي يفيد بأن نصف المماليك السُّلْطانية- وهم خمسمائة مملوك- لم يتوجه منهم إلا النصف، ثم ذكر وصوله إلى منفلوط، وأنه غرق له مركب قمح تحتوي على ثلاثة آلاف إردب، وبعد ذلك أورد كتابه إلى السُّلْطان الأشرف قايتباي يخبره بامتناع العربان عن أداء الخراج المستحق عليهم، وأنه سوف يقوم باستخدام القوة لاستخراجه منهم، ثم ذكر أن الأمير يَشْبك قبض في ربيع الأول على محمود شيخ بني عدي[٥١] بأعمال منفلوط، وضربه وأمر «**أن يُشوى بين يديه في النار وهو حي، فصار يستغيث، ولا يُغاث، وآخر الأمر أطلقه، وقيل للأمير لا يُعذِّب بالنار إلا خالقها**»، وفعل بالعربان ما لم يفعله أحد قبله، فدخل الرعب منه في قلوبهم. وفي جُمادى الأولى دارت معركة عنيفة بينهما قتل فيها كثير من الطرفين، ثم عاد الأمير يَشْبك إلى القاهرة في شهر شعبان سنة ٨٧٤هـ / فبراير ١٤٧٠م، بعد أن مكث بالصَّعِيد نحو سبعة أشهر وذهب إلى السلطان الأشرف قايتباي الذي خلع عليه وأكرمه، وبعد

أيام قدَّم للسلطان نحو مائتي ألف دينار: منها أكثر من مائة ألف دينار نقدًا، ونحو عشرين ألف إردب من الشعير، وغير ذلك.

وعلى الرغم من اتفاق كثير من المؤرخين المعاصرين على أن ما قام به الأمير يَشْبك من قمع المفسدين من العربان وإظهار قوة الدولة ونفوذها وإحكام سيطرتها عليهم، فإنهم انتقدوا تَنْكِيله ببعض منهم، واعتبروا ذلك خروجًا على تعاليم الدين الإسلامي، ومن الأفعال الذميمة، إلى جانب تعديه على أموال الناس هُناك، فقد ذكر المؤرخ عبد الباسط بن خليل أنه ظلم كثيرًا من الناس ممن لا ذنب لهم، وأخذ كثيرًا من الأموال بدون وجه حق، ثم تحدث عن الهدية التي قدمها إلى السُّلْطان الأشرف قايتباي بقوله:« **وبعد أيام بعث إلى السُّلْطان بتقدمة هائلة ما بين خيول وجمال ودقيق وأعسال وسكاكر وغلال، ومن الذهب النقد العين ... مائة ألف دينار وثلاثة عشر ألف دينار، ومن الشعير عشرين ألف إرْدب، كل إرْدب بدينارين، وبعث إليه بمخازيم ببواقي بلاد تُحرَّر بنحو الخمسين ألف دينار ونحوها، فكان مجموع ذلك بالبواقي نحو المائتي ألف دينار... فلا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله، كيف يكون الجواب عن هذا المال في غدٍ بين ذي الجلال، نسأل الله تعالى العفو والعافية...**»[٥٢].

أما المؤرخ ابن إياس[٥٣]،فقد ذكر أنه «**فعل ببلاد الصَّعِيد من المظالم مالا يُسمع بمثله، حتى قيل إنه شوى بالنار محمود شيخ بني عدي، وخوزق من العربان جماعة، وسلخ جلد جماعة، ودفن جماعة في التراب وهم أحياء**». ويتبيَّن من ذلك اتفاق كثير من المؤرخين على أن هذه الحملة خرجت عن الهدف المحدد لها، وهو جمع أموال الخراج من الصَّعِيد، وتحولت إلى تخريب للقرى ونهب العربان والفلاحين هناك.

وقد أثرت هذه الحملة في الأوضاع الاقتصادية بالقاهرة، حيث ارتفعت أسعار الحبوب بها، وفي هذا السياق أشار البقاعي إلى أن أسباب ارتفاع أسعار القمح في شهر المحرم هو قيام كاشف الأمير يَشْبك في الصَّعِيد بتحجيره على القمح، ومنع الفلاحين من بيعه، والتُّجَّار من شرائه ونقله إلى القاهرة، مع إطلاق يده في فرض عقوبات على من يخالف أوامره، منها أخذ الحبوب وإتلافها، وفي بعض الحالات تصل العقوبة إلى القتل. والحقيقة أن هذا الكاشف لم يكن يستطيع القيام بذلك بدون أن يكون لديه تفويض من السُّلْطان أو الأمير يَشْبك باعتبار الأخير كاشف الصَّعِيد ونائب الوجه القبلي، وهو الأمر الذي أكَّدَه البقاعي، بأن هذا الكاشف قبض على أحد الأشخاص الذين اشتروا نحو أربعين إرْدب قمح من أقصى الصَّعِيد، ثم أخرج له مرسوم السُّلْطان وكتاب الدَّوَادَار اللذَينِ تضمنا عدم السماح لأحد بشراء الحبوب وإحضارها إلى القاهرة، ومن قام بشراء شيءٍ منها يتم اتلافه فضلاً عن معاقبته، وأنهى البقاعي حديثه بقوله: «**ومن الأمور العجيبة من حين سافر الدَّوَادَار كثر القمح في ساحل بولاق وانحط سعره من ثلاث دنانير ونحوها إلى دينارين ونصف وقريب منها، وزادت بغضتهم فيه**»[٥٤]. الأمر الذي يُشير إلى تورط السُّلْطان الأشرف قايتباي والأمير يَشْبك كاشف الصَّعِيد في احتكار تجارة الغلال؛ مما أسهم في ارتفاع أسعارها، وحدوث أزمة اقتصادية عاني منها سكان القاهرة.

وفي موضع آخر يذكر البقاعي أن الأمير تِمراز الأشرفي[٥٥] – قريب السُّلْطان– تكلم مع تَغْري برْدِي[٥٦] خازندار[٥٧] الأمير يَشْبك كلامًا قويًا، وأنه والأمير يَشْبك يظلمان الناس ويأكلان أموالهم بالباطل، وكان الحديث في حضور السُّلْطان قايتباي، الذي تدخل بينهما مبررًا أن الأمير يَشْبك قد عمّر الصَّعِيد، وكان رد الأمير تِمراز بأنه خرّبه، وانتهي الحديث بينهما أن غادر الأمير تِمراز مجلس السُّلْطان، وشكر الناس موقفه. وقد علق البقاعي على هذه الحادثة بأن الأمير يَشْبك قد «**خضّر بلاد الصَّعِيد وأصلح حالها وكان فعل ذلك بعد تجبر كبير وصل فيه على ما قالوا إلى التعذيب بالنار**»[٥٨]، وهو يتفق في ذلك مع ما جاء في كلام الأمير تِمراز بأنه استخدم العنف والبطش مع العربان لكي تزرع الأراضي وتستقر الأمور.

على أية حال، عادت أسعار الحبوب إلى الارتفاع مرة أخرى في شهر جُمادى الأولى، وارتفعت أيضًا في شهر رجب؛ بسبب قيام الأمير يَشْبك باحتكار الغلال، ومنع المراكب من حملها أثناء وجوده بالصَّعِيد[٥٩]، وليس أدل على ذلك من غرق مركب له بمنفلوط به ثلاثة آلاف إردب من القمح، ويعلق المؤرخ ابن الصيرفي[٦٠] على ذلك بقوله: «**وهي فداؤه، فإنه ركن الإسلام**»، وهو أمر ليس مستغربًا عنه، فقد أغفل في سياق حديثه أسباب أزمة غلاء الأسعار في هذه الفترة، وطالما دافع عن أفعال الأمير يَشْبك، وسعى إلى التقرب منه، ومنافقتهِ إذا لزم الأمر.

ومما سبق يَتَبَيَّنأن حملة الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الثانية على الصَّعِيد كانت لجمع أموال الخراج من العربان على البلاد المقطعة لهم، غير أنهم امتنعوا عن تأديته، مستغلين انشغال الدولة بالمعارك الدائرة في شمال بلاد الشام مع شاه سَوَّار، مما دفع الأمير يَشْبك الدَّوَادَار لمعاقبتهم والتنكيل بهم.

حملة الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الثالثة على الصَّعِيد(صفر–جُمادى الأولى٨٨١هـ/يونيو–سبتمبر١٤٧٦م):

ظلت الأوضاع في الصَّعِيد يسودها الهدوء النسبي منذ عودة الأمير يَشْبك إلى القاهرة في شعبان سنة ٨٧٤هـ/ فبراير ١٤٧٠م، ولم تحدث أية اضطرابات أو فتن أو خروج على السلطة في هذه الفترة. ويبدو أن حالة الاستقرار هذه لم تستمر طويلا إذ تُشير الأحداث إلى خروج الأمير يَشْبك على رأس حملة عسكرية إلى الصَّعِيد، وذلك في صفر سنة ٨٨١هـ/ يونيو ١٤٧٦م، ولكن هذه المرة لمواجهة قبيلة هَوَّارة، تلك القوة المؤثرة والمُهيمنة في صعيد مصر، والتي كان يحمل منهما ذكريات مؤلمة وسيئة، وتحديدًا للقبض على يونس وأحمد[٦١]ابنيّ إسماعيل أمير هَوَّارة. وقد اهتم بذلك اهتمامًا كبيرًا، ولا نعرف على وجه الدقة ما جرى هُناك، فالمصادر التاريخية المعاصرة لم تذكر أية معلومات عن أحداثها، وكل ما تناولته المصادر هو عودة الأمير يَشْبك إلى القاهرة في جُمادى الأولى من السنة نفسها، بعد أن قمع المفسدين من العربان، وإخماد تمردهم، وجمع الأموال من هُناك، ولكن كعادته أخذ في نهب أموال العُربان والفلاحين، حتى قيل أنه «**جرف الأموال جرفًا**»[٦٢].

وفيما يتعلق بالهدف الذي خرج من أجله الأمير يَشْبك، وهو القبض على يونس وأخيه أحمد، فقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول ذلك، فالسخاوي أشار إلى عودته ومعه الأخوان سليمان بن عيسى الهوّاري وأخوه أحمد، في حين أن عبد الباسط بن خليل لم يذكر شيئًا عن هذا الأمر. أما ابن إياس فقد ذكر أنه عاد دون أن يظفر بهما، لكن الغريب في الأمر هو عودته بالأخوين سليمان وأحمد[٦٣] ابنيّ عيسى الهوّاري، على الرغم من أن هدفه كان الإمساك بابني عمهما يونس وأحمد، ولا نعلم الأسباب التي دفعته إلى ذلك، وقد وُضع سليمان بن عيسى الهوّاري في برج بالقلعة وظل مسجونًا به حتى وفاته في ذي الحجة من السنة نفسها، واستقر أخوه أحمد مكانه في إمرة هَوَّارة وعاد إلى الصَّعِيد[٦٤]، الأمر الذي يؤكد عدم نجاح الأمير يَشْبك في مهمته التي خرج من أجلها، وهي القبض على يونس وأخيه أحمد.

حملة الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الرابعة على الصَّعِيد(ذي الحجة٨٨٢-جُمادى الآخرة ٨٨٣هـ/مارس-سبتمبر١٤٧٨م):

يبدو أن الأوضاع في الصَّعِيد لم تكد تستقر بعد حملة الأمير يَشْبك الثالثة، حتى جاءت الأخبار إلى القاهرة في المحرم سنة ٨٨٢هـ / أبريل ١٤٧٧م، بهروب أحمد بن عيسى الهوّاري من الصَّعِيد، ثم توفي بعد ذلك بقليل، فقام السُّلْطان الأشرف قايتباي بتعيين الأمير يَشْبك في إمرة هَوَّارة، حتى اعتبر ذلك «**من النوادر**»[٦٥]، ومن الأمور غير المعتادة التي يتولى أحد أمراء المماليك إمرة هوارة، وهو ما يُمكن أن نعتبره تحولاً خطيرًا في سياسة الدولة المملوكية ممثلة في السُّلْطان الأشرف قايتباي تجاه قبيلة هَوّارة؛ ويبدو أن ذلك كان للحد من نفوذها وتقليص دورها، وجعل الإمرة عليها من اختصاص اختيار السلْطنة وفرض نفوذها.

وجدير بالذكر أن الأمير يَشْبك لم يكن يستطيع أن يفرض سيطرته على قبيلة هَوَّارة دون الاستعانة بأحد أبنائها، خاصة أن هذه الطريقة هي التي كانت تستخدمها الدولة في مواجهة خطر العربان لفترات طويلة، وهي التحالف مع طرف دون آخر، وبمعنى أدق استمالة فرع على حساب الفرع الآخر داخل القبيلة، وبالفعل عيّن الأمير يَشْبك في إمرة هَوَّارة داود[٦٦] بن سليمان بن عيسى الهوّاري[٦٧]، وهو أمر له دلالته السياسية، وهو اشعال الفتنة بين داود بن سليمان وبين يونس بن إسماعيل، وضرب أبناء العمومة بعضهم البعض.

وسرعان ما تحقق ما كان يهدُف إليه الأمير يَشْبك، حيث اشتعلت الأوضاع مرة أخرى في الصَّعِيد في ذي القعدة سنة ٨٨٢هـ/فبراير ١٤٧٨م، فقد وردت الأخبار إلى القاهرة بحدوث فتن واقتتال داخلي في صفوف هَوَّارة، وانقسامها بين الأمير يونس بن إسماعيل من ناحية، وابن عمه داود بن سليمان من ناحية أخرى، وخرج سيباي العلائي[٦٨] كاشف الوجه القبلي لمقاتلة يونس الهوّاري، الذي ثارت معه عرب هَوَّارة، لكنه هُزم أمامه(أي سيباي) وقُتل عدد كبير من جنده، وعندما سمع السُّلْطان الأشرف قايتباي بهذه الأخبار، وكان موجودًا آنذاك بالفيوم، عزم على التوجه إلى الصَّعِيد من هُناك، فمنعه الأمراء من ذلك، فأرسل إلى الأمير يَشْبك يستحثه للخروج على وجه السرعة إلى الصَّعِيد[٦٩].

بدأ الأمير يَشْبك على الفور في الاستعداد للتوجه إلى الصَّعِيد، فخرج على رأس حملة عسكرية في ذي الحجة من السنة نفسها، وحمل معه آلات الحصار وعددًا كبيرًا من الجند، ونجح في إخماد هذه الفتن والقضاء على المتمردين، حيث استطاع في ربيع الآخر سنة ٨٨٣هـ / يوليو ١٤٧٨م، هزيمة يونس بن إسماعيل الهوّاري وأقاربه وحلفائه، بعد أن هرب إلى بلاد النوبة وتتبعه إلى هُناك، فألقى القبض عليه وعلى أخيه وبعض أقاربه، ثم قتله وقطع رأسه، وأرسله إلى القاهرة، حيث طافوا به الشوارع، ثم عُلقت على باب زويلة أيامًا(٧٠).

لقد عاد الأمير يَشْبك في جُمادى الآخرة من السنة نفسها إلى القاهرة، بعد أن مكَثَ بالصَّعِيد نحو خمسة أشهر، وأحضر معه أسرى هَوَّارة، وعلى رأسهم أحمد بن إسماعيل أخو يونسالهوّاري، وعدد من أبناء عمهم وأقاربهم وهم في القيود، ولما توجه إلى السُّلْطان أخلع عليه، ووكل له أمر الأمير أحمد الهوّاري فأخذه إلى داره وهو مكبل بالحديد، وفي جُمادى الآخرة عُرض أحمد الهوّاري هو ومن معه على السُّلْطان الأشرف قايتباي، فأمر بتسليمهم إلى والي القاهرة ، وكانوا سبعة رجال، فأركبوهم على جمال، ونزلوا بهم إلى القلعة، وقتلوا أحمد ومن معه بعد أن صُلب حيًا، ووسطوا تسعة عشر رجلا من أقاربه، وحزن كثير من الناس عليهم، خاصة الأمير أحمد الذي كان يتصف بالتدين وعمل الخير. وكان من أسباب انتقام الأمير يَشْبك من يونس وأخيه، أن له ثأرًا قديمًا منذ أن هزماه وجرحاه في جِرْجا في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/ سبتمبر١٤٦٧م حين كان كاشفًا، وقتلا ثلاثين من مماليكه(٧١)، ولعلَّ ذلك بمنزلة الثأر منهما، والتخلص من تمردهما وعصيانهما المستمر، ولم يشهد الصَّعِيد أي إضرابات بعد هذه الحملة، حتى وفاة الأمير يَشْبك في رمضان سنة ٨٨٥هـ/ نوفمبر١٤٨٠م.

وهنا يُطرح تساؤل مهم حول الأسباب التي دفعت الأمير يَشْبك إلى الخروج في كل مرة على رأس الحملات الأربع إلى الصَّعِيد؟

للإجابة عن هذا التساؤل علينا معرفة أن الأمير يَشْبك بحكم وظيفته، وهي كاشف الوجه القبلي وملك الأمراء(٧٢) بالوجهين القبلي والبحري، كانت تقع عليه مسئولية القضاء على الفتن والتمردات التي تحدث بالصَّعِيد، وإحلال الأمن والطمأنينة والاستقرار هُناك، كما أن مكانته لدي السُّلْطان الأشرف قايتباي ومساعدته له في الوصول إلى السلطنة، جعلت منه الساعد الأيمن له في مواجهة كثير من المشكلات التي أحاطت بالدولة داخليًا وخارجيًا، ومن ثم فقد وجد السُّلْطان الأشرف فيه الشخصية القوية التي يُمكنها التغلب على العربان سواء بنيهلْبا أو بني عدي أو هَوَّارة وغيرهم، كما كان لسابق درايته بالصَّعِيد وبطبيعته الجغرافية، ومعرفته بالعقلية التي كان يدير بها العربان أموره مأثر فيذلك، وليس أدل على ذلكمن أنه بعد هزيمته من الأمير يونس الهوّاري في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/ سبتمبر١٤٦٧م –كما سبق القول–أن أرسل إلى السُّلْطان يطلب منه عودة سليمان بن عيسى(٧٣) لإمرة هَوَّارة، وعزل يونس بن إسماعيل، وأن يبعث تجريدة إلى

الصَّعِيد على وجه السرعة، وإلا خربت بلاد الصَّعِيد عن آخرها، وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على دراية تامة بأمور الصَّعِيد، وبالتنافس الشديد بين فرعي قبيلة هَوّارة القبلية بين بني إسماعيل وبني عيسى.

ومن الأسباب الأخرى المهمة وراء توجه الأمير يَشْبك إلى الصَّعِيد، رغبته في المحافظة على إقطاعاته[٧٤] الكثيرة في نواحٍ متفرقة هُناك(خريطة ٢، ٣، ٤)، والعمل على حمايتها من أذى العربان وفسادهم، كما هو موضح بالجدول التالي:

م	الناحية	الأعمال	المساحة بالفدان	العبرة[٧٥] بالدينار	ملاحظات
١	المُتَنَّى[٧٦]	الأسيوطية	٣٤٧	٢٠٠٠	
٢	ببشاي(النخيلة)[٧٧]	الأسيوطية	٤٥١٢	٦٠٠٠	
٣	جزائر الجبل[٧٨]	الإخميمية	٢٠٤٢	١٠٠٠	
٤	دجرجا(جرجا)	الإخميمية	٨٦٢١	١٥٠٠٠	كانت باسم العربان
٥	أبنود[٧٩]	القوصية	٤٦٠٠	٥٠٠٠	
٦	أُدْفو[٨٠]	القوصية	٢٤٧٦٢	٢٠٠٠	حصة مشتركة
٧	أصْفُوْن[٨١]وطَفْيس[٨٢]	القوصية	٨٣٤٣	١٠٠٠٠	
٨	البُلْيَنا[٨٣]	القوصية	٢٤٣٣٩	٢٠٠٠	حصة مشتركة
٩	الحَرَجَة[٨٤]	القوصية	١٥٩٥٢	١٠٠٠٠	
١٠	الجبلين[٨٥]	القوصية	١٤٥٠	٣٠٠٠	
١١	جزيرة الدير وأم علي[٨٦]	القوصية	٣٠١٨	٤٠٠٠	
١٢	دنْدَرا وجزائرها[٨٧]	القوصية	٨٦٩١	٨٠٠٠	
١٣	شَطَفَنْيَة[٨٨]	القوصية	٧٢٣٤	٧٢٠٠	
١٤	فَرْجُوط (فَرْشُوط)[٨٩]	القوصية	٢٣٠٠٠	١٥٠٠٠	حصة مشتركة
١٥	قصر بني كليب[٩٠]	القوصية	٧١٦١	٥٠٠٠	
١٦	ثغر أُسوان	–	–	–	
١٧	ثغر عَيْذَاب[٩١]	–	–	–	

يتضح من الجدول السابق أن إقطاعات الأمير يَشْبك في الوجه القبلي كانت تشتمل على ثلاث عشرة ناحية موزعة كالآتي: ناحيتان بكل من الأعمال الأسيوطية والإخميمية، وتسع نواحٍ بالأعمال القوصية، هذا إلى جانب حِصَص في ثلاث نواح بالأعمال القوصية، بالإضافة إلى ثغري أُسوان وعَيْذَاب، وهو ما يؤكد ما أسلفناه فيما سبق من أن جانبًا كبيرًا من حملات الأمير يَشْبك كان يستهدف من ورائها حماية إقطاعاته المتناثرة، والعمل على زراعة أراضيها وتخضيرها وتنميتها، لاستخراج الخراج منها. وجدير بالذكر أن العربان لم يكن لهم أية إقطاعات بالصَّعِيد سوى ناحية جرجا بإقليم الإخميميَّة(٩٢)، وهي التي أقطعها السُّلْطان الظاهر برقوق لهَوَّارة في سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، وقد آلت هذه الناحية للأمير يَشْبك بعد ذلك، ويبدو أنها أقطعت له بعد حملته الرابعة والأخيرة على الهَوَّارة في ذي الحجة٨٨٢هـ- جُمادى الآخرة٨٨٣هـ / مارس- سبتمبر ١٤٧٨م.

كذلك كانت تجارة الأمير يَشْبك في الحبوب واحتكاره لها والتحجير عليها؛ بهدف تحقيق مكاسب مالية، من بين العوامل التي دفعت العربان إلى إثارة الفتن والاضرابات، الأمر الذي كان يدفع الدولة لإرسال حملات عسكرية لقمع تمردهم، وكما أشرنا من قبل- فإن السُّلْطان الأشرف قايتباي والأمير يَشْبك منعا بيع الحبوب والتجارة فيها، وهو ما أضر كثيرًا بالعربان، الذين كانوا يستفيدون من بيع القمح وغيره من الغلال في القاهرة، وليس أدل على ذلك مما حدث في ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، عندما ضارب الأمير يَشْبك في أسعار القمح، وقام بتسعير الإردب بأربعمائة درهم في الوقت الذي كان يُباع فيه بثمانمائة درهم، والسبب في ذلك معرفته بوصول كميات من القمح التي أرسلها ابن عمر أمير هَوَّارة لبيعها بساحل مصر، فأراد الأمير يَشْبك الإضرار به، فعانى الناس من وراء ذلك، وقاموا بنهب بعض حوانيت باب الشعرية، وارتفع القمح بعد ذلك إلى نحو تسعمائة درهم للإردب(٩٣)، وهو ما يشير إلى استفادة الأمير يَشْبك من الأزمة الاقتصادية والمجاعة الموجودة بالقاهرة؛ لبيع قمحه، وإحداث خسارة لأمير هَوَّارة؛ بإجباره على بيع قمحه بنصف الثمن، أو عودته إلى الصَّعِيد مرة أخرى فيتعرض لخسارة فادحة.

على أية حال، كان لفساد العربان وقيامهم بأعمال السلب والنهب، وقطع الطرق والإخلال بالأمن، وامتناعهم عن تأدية الخراج، وتمردهم ضد الدولة، دافعًا لقيام الدولة بإرسال حملات عسكرية لجباية الخراج بالقوة والقضاء على المفسدين وردعهم، وفي المقابل-أيضًا- كانت أساليب البَطْش التي استخدمها المكلفون بجمع الخراج من الولاة والكُشَّاف والأمراء، وعمليات التنكيل والقتل التي تعرّض لها أمراء العربان ومشايخهم على يد الأمير يَشْبك، على نحو ما حدث مع بني هَلْبا ونسائهم، وبني عديّ، وقبيلة هَوَّارة القبلية، إلى جانب احتكار الغلال، ومنع المراكب من التوجه إلى القاهرة وعمليات المضاربة في الأسعار، دافعًا إلى تمرد العربان بالصَّعِيد وثوراتهم المستمرة على الدولة، وامتناعهم عن تأدية الخراج، وقطع طرق المواصلات والقيام بعمليات النهب والسلب في القرى، في الوقت الذي كان السُّلْطان الأشرف قايتباى يلح في جمع الضرائب لتغطية نفقات الحروب المتتالية في شمال بلاد الشام مع شاه سَوَّار لحماية حدود حلب.

وصفوة القول: إن حملات الأمير يَشْبك من مهدي على الصَّعِيد تمثل حلقة من حلقات الصراع بين الدولة والعربان، أو بين اتجاهين مختلفين: أولهما دولة ترى في عدم الطاعة خروجًا عليها، وإن كانت جائرة العصيان كل العصيان، والآخر أقوام يرون العزة والشجاعة في الكر والفر، والأخذ بالثأر، ومحاولة انتزاع السلطة من أولئك الذين لا يعرفون لهم نسبًا، باعتبار أن المماليك عنصر قد مسّه الرِّقّ. وكان لهذا الصراع دور كبير في خلق الأزمات الاقتصادية التي تعرض لها الوجه القبلي من تخريب المزارع والقرى، ونهب الفلاحين، وتأثر الثروة الحيوانية، كما أدى إلى حدوث خلل في البناء الاجتماعي لسكانه؛ لكثرة القتلى من رجاله، وخراب عدد من مدنه وقراه.

الحواشي:

(١) يشمل الصَّعِيد الأدْنى أو الأسفل محافظات الجيزة والفيوم وبني سويف، ويشمل الصَّعِيد الأوْسط محافظات المنيا وأسيوط وسوهاج، أما الصَّعِيد الأعْلى فيشمل محافظتي قنا وأسوان.(محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧).

(٢) وهذه الأعمال هي: الجيزية، ومقر ولايته مدينة الجِيزة، والإطْفيحيَّة، ومقر ولايته مدينة إطْفِيح، والفَيُّوميَّة، ومقر ولايته مدينة الفيوم، والبَهْنَساوية، ومقر ولايته مدينة البَهْنَسا، والأُشْمُونين، ومقر الولاية مدينة الأُشْمُونين، والمَنْفَلُوطيَّة ومقر ولايته مدينة مَنْفَلُوط، والأسْيوطيَّة، ومقر الولاية مدينة أسْيُوط، والإخميميَّة، ومقر ولايته مدينة إخْمِيم، والقُوصِيَّة ومقر ولايته مدينة قُوص.(للمزيد انظر: ابن فَضْل الله العُمَري(شهاب الدِّين أحمد بن يحيى، المتوفَّى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٩٧-٩٨؛ القَلْقَشَنْدي(أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٣، ص٣٩٦-٤٠٢؛ المَقْريزي(تقيِّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المَواعظ والاعتِبَار في ذكر الخِطَط والآثار، قَابَلَهُ بأُصُوله وأعَدَّهُ للنَّشر أيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَة الفُرقَان للتُّراث الإسلاَمي، لندن، ٢٠١٣م، مج١، ص٣٤-٣٥، ١٩٤؛ السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن بدر الدِّين محمد، ت ٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصَّار، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١، ص ٢٨٠-٢٨٣؛ ابن شاهين(غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م): زُبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠١١م، ص ٩٤؛ ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ص٢٣-٢٨).

(٣) أسْيوط: مدينة بالبر الغربي للنيل في صعيد مصر، ومن المدن القديمة، وهي قاعدة مركز أسْيوط. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٣).

(٤) حكيم أمين السيد: قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٢٠.

(٥) الكُشَّاف: جمع كاشف، وهو الذي يُشرف على أحوال الأراضي والجسور الزراعية، وكانت لها دلالة وظيفية بمعنى حاكم أو مفتش أو فاحص، ومهمته الكشف على أمور الإقليم والحكم فيه والإشراف على أمنه وحمايته والدفاع عنه (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص ٤٤٨-٤٤٩، ج٤، ص٢٥، ٦٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٢، ص ٩٢٧).

(٦) البَهْنَساوية: وهو عمل مما يلي عمل الجيزة من الجهة الجنوبية، ومقر ولايته مدينة البَهْنَسا، وهي مدينة بالصَّعِيد الأدنى بالبر الغربي من النيل، بين مُنية ابن خصيب(المنيا)، وبني سويف إلى جهة الغرب.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٣٩٧؛ علي باشا مُبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ج١٠، ص١).

(٧) الفَيُّوميَّة: يقع هذا العمل غرب البَهْنَساوية، وهو من أعظم الأعمال وأحسنها، ومقر ولايته مدينة الفيوم، وهي من المدن القديمة، وقاعدة لمركز الفيوم. (القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٣٩٧-٣٩٨؛ محمد رمزي بك: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الطبعة الثالثة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م، مج ٤، ص٩٦).

(٨) أمراء الطبلخاناه: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف، وتدل هذه التسمية على أنه كان عملهم دق الطبول وغيرها، وقد سمي أمراء الطبلخانات بعدد المماليك الذين يملكونهم، فسموا بأمراء ثمانين وسبعين، وأقلهم أمراء أربعين.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص ١٥).

(٩) الأُشْمُونين: من المدن المصرية القديمة، وهي قصبة كورة من كُوَر الصَّعِيد الأدنى غربي النيل، وقد دثرت المدينة القديمة، ومكانها لا يزال ظاهرًا في التل الواقع بجوار سكن بلدة الأشمونين الحالية. (الحَمَوي(شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبدالله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص٢٠٠؛ محمد رمزي: القاموس، مج٥، ص٥٩-٦٠).

(١٠) قُوص: مدينة تقع على الضفة الشرقية للنيل، وهي محطة التجارة بين مصر وعدن عبر البحر الأحمر.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٣٩٨-٣٩٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٠؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج٥، ١٨٨).

(١١) إخْميم: أو أَخْميم، مدينة بالبر الشرقي للنيل بالصَّعِيد، وهي من المدن المصرية القديمة، وهي قاعدة مركز إخْميم.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٢٣؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج٥، ص ٨٩).

(١٢) أمراء العشرات: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف، يكون في خدمة صاحبها عشرة فرسان، ومن هؤلاء يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص ١٥).

(١٣) إطْفيح: مدينة على الضفة الشرقية للنيل، وكانت قاعدة لمركز إطْفِيح ثم أصبحت تابعة لمركز الصف. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج٤، ص٢٦).

(١٤) مَنْفَلُوط: مدينة كبيرة على الضفة الغربية للنيل بصعيد مصر، وهي من المدن القديمة، وأصبحت قاعدة مركز مَنْفَلُوط.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٠؛ محمد رمزي بك: القاموس الجغرافي، مج٥، ص٧٨).
(١٥) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص ٢٥، ٦٥-٦٩؛ ابن شاهين: زُبدة كشف الممالك، ص٢٢٣.
(١٦) محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٣٧-١٣٨.
(١٧) هَوَّارة: هم من ولد هَوَّار بن أوزيغ بن برنس بن ضري بن زجيك بن مادْغَس بن بر بن بَدْيان بن كنعان بن حام بن نوح، وأصل ديارهم من آخر عمل سرْت إلى طرابلس، ثم قدم منهم طوائف إلى أرض مصر ونزلوا بلاد البحيرة، وقد اختلفت الآراء حول في هذا النسب، وفي تحديد أصل القبيلة، حتى قيل أنهم من عرب اليمن، ولكنهم بَرْبَر من بلاد المغرب.(لمزيد من التفاصيل انظر: القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١، ص ٣٦٣؛ قلائد الجُمَان في التعريف بقبائل عرب الزَّمان، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة-بيروت، ١٩٨٢م، ص١٦٧-١٦٨؛ المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٦م، ص٦٠).
(١٨) جِرْجا: مدينة قديمة بالصَّعِيد على الشاطئ الغربي للنيل قبلي أسيوط بمسافة يومين، بالقرب من إخميم، وهي من أشهر مدن الصَّعِيد، وقاعدة مركز جِرْجا.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩؛ علي باشا مُبارك: الخطط التوفيقية، ج١٠، ص١١٨؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج٥، ص١١٣-١١٤).
(١٩) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص ٦٩؛ قلائد الجُمَان، ص١٦٨؛ المقريزي: البيان والإعراب، ص ٥٩-٦٠.
(٢٠) هو عمر بن عبد العزيز الهواري البُداري، أمير هَوَّارة القبلية، توفي في سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م. (المقريزي: السُّلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ المُلوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَومِيَّة، القَاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ج٣ق٢، ص ٨٧٥؛ عبد الباسط بن خليل(زين الدِّين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٣٧٧).
(٢١) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص ٦٩، ج٧، ص١٦٢؛ قلائد الجمان، ص١٦٩؛ السَّخْمَاوي: التبر الباسم، ج١، ص٤٣٦.
(٢٢) المقريزي: السُّلُوك، ج٣ق٢، ص٦٠٤، ٨٢٩؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٢، ص٣٥٥؛ محمد جمال الشوربجي: «قبيلة هَوَّارة في مصر في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، عدد ١٣٩- السنة ٣٥، ٢٠١٧م، ص٢٢٦.
(٢٣) ابن شاهين: زُبدة كشف الممالك، ص ١٨٨.
(٢٤)إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٦٦-٢٦٧.
(٢٥)تجاريد: جمع تجريدة، وهي الفرقة من العسكر الخيالة دون الرجالة، والمقصود فيها سير الجنود على وجه السرعة دون أثقال أو حشد.(محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص٤٢).
(٢٦) هو الأمير يَشْبك من مهَدي الظَّاهري جَقْمَق ويُعرف بالصُغَيِّر، كان أحد الدَّوَادارِيَّة الصغار ثم تولى وظيفة كاشف الصَّعِيد في عهد السُّلْطان خُشْقَدَم، وفي عهد الأشرف قايتباي تولى الدَّوَادارِيَّة الكبرى والاستادارِيَّة والوزارة، وارتفعت مكانته في الدولة، مات مقتولا في الرُّها على يد بايْنْدُر باش عسكر يعقوب بن حسن الطويل في رمضان سنة ٨٨٥هـ/نوفمبر ١٤٨٠م.(السخاوي: شمس الدِّين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت٩٠٢ هـ/١٤٩٧م): الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤؛ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد وعصام فارس الحرستاني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٣، ص٩١٤-٩١٥).
(٢٧)انظر: الخريطة رقم(١) وموضح فيها خطّ سَيْر حملات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار على الصَعيد.
(٢٨) كاشف الكُشَّاف: وهي تعني رئيس الكُشَّاف عامة أو كبيرهم، أو مجرد لقب فخري(حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٩٢٩).
(٢٩)هو يونس بن إسماعيل بن يونس بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنداري، رَأس الْمَوْجُودين من بني عمر وأمير عرب هَوَّارة القبلية وَيعرف بابن عمر، وَعرف بالكفاءة والنهضة والحرمة والشجاعة التَّامَّة بِحَيْثُ فاق فِي ذَلِك ذويه، دخل في صراع كبير مع الدولة حَتَّى قُبض عليه فحزت رَأسه وجهزت إلى القاهرة فطيف بهَا الأسواق ثمَّ علقت على بَاب زويلة في ربيع الآخر سنة ٨٨٣هـ/ يوليو ١٤٧٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٣٤١؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص٢١٠).
(٣٠) ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور، مخطوط بمكتبة الدولة ببرلين، رقم Wetzstein I 1 ورقة ١٣٢و، ١٢٥ و؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٦، ص٢٤٩، ٢٦١؛ الرَّوض البَاسم في حَوَادث العُمُر والتَّراجِم، تحقيق عمر عبد السلام تَدمُري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صَيدا-بيروت، ٢٠١٤م، ج٣، ص١٨٥، ٢٠٤؛ ابن إياس(أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بَدائع الزُّهور في وَقائع الدُّهور، حَقَّقها وكتب لها

المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٢٤٢، ٤٤٨.

(٣١)(إبراهيم بن عمر بن حسن، ت ٨٨٥ هـ/١٤٨٠م): تاريخ البقاعي، (حوادث سنة ٨٧٠ إلى سنة٨٨٠هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٦٣١ تاريخ، ورقة ٢٢ظ.

(٣٢) الجوالي: جمع جالية، وهو ما يؤخذ من أهل الذِّمة عن الجزية المقَّررة على رقابهم كل سنة.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص٤٦٢).

(٣٣) هو سليمان بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنداري، أحد أمراء عرب هَوَّارة، مات مسجونًا بالقاهرة في ذي الحجة سنة ٨٨١هـ/مارس- أبريل ١٤٧٧م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٨).

(٣٤) هو الأمير قَجْمَاس الإسحاقي الظَّاهري جَقْمَق نائب الشَّام، أنشأ كثيرًا من المنشآت المعمارية في القاهرة ودمشق، توفي بدمشق في شوال سنة ٨٩٢هـ/سبتمبر ١٤٨٧م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٢١٣؛ وجيز الكلام، ج٣، ص١٠٢٥؛عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم، ج٣، ص٢٦٠-٢٦١).

(٣٥) هو الأمير قَرْقَماس الأشرفي برسباي ويُعرف بالجَلَب، كان خاصكيًا ثم ترقى في المناصب حتى أصبح أمير عشرة، وبعد ذلك طبلخاناه، ثم رأس نوبة النوب ومنها إلى وظيفة أمير مجلس، وفي عهد السُّلْطان خُشْقَدَم تولى وظيفة أمير سلاح، وسجن في عهد يَلَباي، ثم أطلقه الظاهر تَمُرْبُغَا وأقام بدمياط، وفي عهد قايتباي جعله أمير مجلس وأرسله في تجريدة لشاه سَوَّار ، فقتل هناك سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٨).

(٣٦) هو الأمير يَشْبكمن سلمان شاه المؤيدي الفقيه، ترقي في المناصب، وصار رأس نوبة الجمدارية في عهد برسباي، ثم أمير عشرة في عهد الظَّاهر جَقْمَق، ثم أمير طبلخاناه، حتى تولى الدوادارية الكبرى في عهد الظاهر خُشْقَدَم، ثم بطالا بالقدس في عهد السُّلْطان تَمُرْبُغَا، ثم نقل إلى دمياط حتى عفا عنه الأشرف قايتباي وظل بطالا حتى وفاته في ربيع الأول سنة ٨٧٨هـ/أغسطس ١٤٧٣م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٠-٢٧١).

(٣٧) ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور، ورقة ١٢٩ظ،١٣٠ظ؛ النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٠٣-٣٠٤؛عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل بذيل الدول، ج٦، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ الروض الباسم، ج٣، ص٢٦١-٢٦٥.

(٣٨) هو الأمير سيف الدِّين يَلَباي الإينالي، أحد أمراء العشرينات، ورأس نوبة في عهد الظاهر جَقْمَق، تولى في عهد الظاهر خُشْقَدَم عدة مناصب منها حجوبية الحجاب والأتابكية، ثم تسلطن بعد وفاته من ربيع الأول إلى جمادى الأخرة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٧٨م، وخلع بعد أقل من شهرين، توفي في مستهل ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ/سبتمبر ١٤٦٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٧-٢٨٨).

(٣٩) ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور، ورقة ١٣١ظ؛ النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٥٩-٣٦٠؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل بذيل الدول، ج٦، ص ٢٨١؛ الروض الباسم، ج٣، ص٢٧٤-٢٧٥.ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٥٩.

(٤٠) الدَّوَادارِيَّة الكبرى: الدَّوَادارِيَّة، وظيفة موضوعها تبليغ الرسائل عن السُّلْطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكُتُب، والدَّوَادارِيَّة الكبري يُفهم من تسميتها أن هُناك تسمية أقل منها، حيث كان هُناك الدَّوَادارِيَّة الصغار، وقد تولاها الأمير يَشْبك قبل توليه هذه الوظيفة.(انظر: القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص١٩؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل بذيل الدول، ج٦، ص ٢٤٩).

(٤١) السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٧٩٩؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل بذيل الدول، ج٦، ص ٣١٠-٣١٢، ٣٤٩، ٣٦٣؛ الروض الباسم، ج٣، ص ٣٦٦، ج٤، ص٣٠، ٧٣.

(٤٢) بنو هَلْبَا: بطن من جُذَام، وهم بنو هَلْبا بن سُوَيد بن حَرَام بن جُذَام، ومنهم فروع كثيرة.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١، ص٣٢١-٣٢٢؛ المقريزي: البيان والإعراب، ص ٢٩-٣٠).

(٤٣) ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور، ورقة ١٥٢ ظ؛ ابن الصيرفي(علي بن داود الجوهري، ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٤-٤٥؛عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل بذيل الدول، ج٦، ص ٣٥٧؛ الروض الباسم، ج٤، ص٥٢-٥٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٥.

(٤٤) حوادث الدهور، ورقة ١٥٢ ظ.

(٤٥) الروض الباسم، ج٤، ص٥٤.

(٤٦) إنباء الهَصر، ص٤٤-٤٥.

(٤٧) هو شاه سَوَّار بن سليمان بن ناصر الدين يك بن دُلغادر التركماني، نائب الأَبْلُستَين، خرج عن طاعة السُّلْطان واعتدى على بعض البلاد الحلبية، وقد خرج إليه نواب دمشق وحلب لمقاتله فكسرهم، فأرسل إليه السُّلْطان الأشرف قايتباي بحملة كبيرة بقيادة الأمير يَشْبك، ونجح في هزيمته والقبض عليه، ومات مقتولا تحت العقوبة في ربيع الأول سنة ٨٧٧هـ/أغسطس ١٤٧٢م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٤-٢٧٥؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص٤٣-٤٥).

(٤٨) المماليك المُشتَروات: وهم المنسوبون إلى السُّلْطان المستقرّ في الحكم، ويُعرفون بالمماليك الجُلْبانأو الأجْلاب.(ابن شاهين: زُبدة كشف الممالك، ص٢٠٤).

(٤٩) البقاعي: تاريخ البقاعي، ورقة ٥ ظ؛ ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص١٢٢-١٢٣، ١٢٦؛ عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم، ج٤، ص١٨٨-١٨٩، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣٧.
(٥٠) إنباء الهصر، ص ١٢٨، ١٣٠- ١٣١، ١٥٣، ١٦١.
(٥١) بنو عديّ: بطن من بطون لَخْم من بني كهلان، ومنهم بنو موسى، وبنو محرب، ومساكنهم بالقرب من بنو جَعْد بساحل إطْفيح. وكانت توجد ثلاث نواحٍ من توابع منفلوط يُعرفون باسم بني عدي وهم: بني عدي البحرية وبني عدي الوسطانية، وبني عدي القبلية.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١، ص٣٣٥؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج٥، ص٨٢-٨٣).
(٥٢) عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم، ج٤، ص١٨٨-١٨٩.
(٥٣)بدائع الزهور، ج٣، ص٣٧، ٤٣.
(٥٤) تاريخ البقاعي، ورقة ٥ ظ.
(٥٥) هو تِمراز الشمسي الأشرفي برسباي العزيزي، نسبة للعزيز يوسف بن الأشرف فهو معتقه وأمير سلاحه، وابن أخت الأشرف قايتباي، وترقي في كثير من الوظائف منها الأتابكية، وكان له تودد للعلماء والفقراء، توفي مقتولاً في ذي الحجة سنة ٩٠٣هـ/ أغسطس ١٤٩٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ٣٦-٣٨؛ عبد الباسط بن خليل: المَجْمَع المُفَنَّن بالمُعجم المُعَنْوَن، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠١١م، ج٢، ص٣١٥-٣١٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣٧٣-٣٧٤).
(٥٦) هو الأمير تَغْري برْدِي من يلباي الظاهري، الاستادار المعروف بالخازندار، من مماليك الظاهر جقمق، أصبح خازندار الأمير يَشْبك وصار متكلمًا على جميع ممتلكاته وأعماله، توفي في ربيع الأول سنة ٩١١هـ/أغسطس ١٥٠٥م.(عبد الباسط بن خليل: المَجْمَع المُفَنَّن، ج٢، ص٢٩٧-٢٩٩).
(٥٧) الخازندار: أوالخِزَنْدار من وظائف أرباب السيوف، وهو الذي يتولى الإشراف على خزائن الأموال السُّلْطانية من نَقد وقماش وغير ذلك، أو حزانة الأمير، وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو خَزانة، وهو ما يُخْزَن فيه المال، والثاني فارسي، وهو دار، ومعناه ممسك، وكان يتولاها أمير طبلخاناه، ثم أصبح مقدم ألف.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٤، ص٢١، ج٥، ص٤٦٢-٤٦٣).
(٥٨) تاريخ البقاعي، ورقة ١٢ظ.
(٥٩) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٦، ص ١٩٨؛ الروض الباسم، ج٤، ص١٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢.
(٦٠) إنباء الهصر، ص ١٣٠.
(٦١) هو أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنْداري الجُرجي الصَّعِيدي، أمير عرب هَوَّارة، ويُعرف بابن عمر، توفي مقتولا بعد صلبه في القاهرة في جُمادى الآخرة سنة ٨٨٣هـ/أغسطس ١٤٧٨م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٤؛ عبد الباسط بن خليل: المَجْمَع المُفَنَّن، ج١، ص ٣٧٦-٣٧٧).
(٦٢) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص١٥٧، ١٦٢-١٦٣.
(٦٣) هو أحمد بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنْداري الجُرجي الصَّعِيدي، أمير عرب هَوَّارة، ويُعرف بابن عمر، استقر بعد أخيه عيسى في إمرة هَوَّارة، حتى توفي بالطاعون في المحرم سنة ٨٨٢هـ/أبريل ١٤٧٧م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٦٢؛ عبد الباسط بن خليل: المَجْمَع المُفَنَّن، ج١، ص٤٩٧-٤٩٨).
(٦٤) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص ١٧٧-١٧٨؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج٣، ص٨٧١؛ الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٢٤.
(٦٥) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ١٨٥-١٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٢٦.
(٦٦) هو داود بن سليمان بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنْداري، أمير عرب هَوَّارة، توفي مشنوقًا على باب شونة بمنفلوط على يد الأمير آقبردي الدَّوَادَار في شعبان سنة ٩٠٢هـ/أبريل ١٤٩٧م. (السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢١٤-٢١٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣٥٩).
(٦٧) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص ١٩٠.
(٦٨) هو سيباي العلائي الأشرفي إينال، كان خاصيكًا ثم نفي إلى منفلوط في عهد السُّلْطان خشقدم، فاستمر بها فترة طويلة، ثم ولاه الأشرف قايتباي بعناية الأمير يَشْبك الدَّوَادَار الكشف بمنفلوط، وثار العرب في وجهه وطردوه، فرجع بعض قبضه على محمود شيخ بني عدي، ورجع في خدمة الأمير يَشْبك، مات مقتولا في طِمَا من أعمال أسيوط في رجب سنة ٨٨٥هـ/سبتمبر ١٤٨٠م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٨٨).
(٦٩) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص ٢٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٣.
(٧٠) السخاوي: وجيز الكلام، ج٣، ص٨٩١؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص ٢١٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٤٦.
(٧١) عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل، ج٧، ص٢١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٤٧.
(٧٢) مَلِك الأُمَراء: وهو من الألقاب التي اصطُلح عليها لكُفَّال الممالك من نواب السلطنة، كأكابر النُّواب في الممالك الشامية ومن في معناهم، وذلك أنه يقوم فيهم مَقام المَلك في التصرّف والتنفيذ، والأمراءُ في خدمته كخدْمة السُّلْطان.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج ٥، ص٤٥٥).

(٧٣) هو سليمان بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوّاري البُنداري، أحد أمراء عرب هَوَّارة، استقر في الإمرة بعد عزل ابن عمه يونس بن إسماعيل ثمَّ صرف بأخيه أحمد، مات مسجونًا بالقاهرة في ذي الحجة سنة٨٨١هـ/مارس- أبريل ١٤٧٧م.(السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦٨).

(٧٤) وكان للأمير يَشْبكأملاك في ناحيتين بالأشمونين وهما: دير سواده وماكوسه، بالإضافة إلى ناحية طَرْشُوب التي أوقفها بالبَهْنَساوية. (للمزيد انظر: ابن الجيعان(شرف الدِّين أبو زكريا يحيى بن شاكر بن عبد الغني، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): التُحْفَة السَّنيَّة بأسماء البلاد المصرية، مطبوعات الكتبخانة الخديوية، المطبعة الأهلية، القاهرة، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، ص١٦٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥-١٨٦، ١٨٩، ١٩١-١٩٥).

(٧٥) العبرة: كانت تُقدر قيمة الإقطاعات بالعبرة، التي كانت تُقدر على أساس متوسط ما يدره الإقطاع من عائد سنوي، من خلال حساب أعلى عائد للإقطاع في أنجب سنة، وأدناه في أسوأ سنة والقسمة على اثنين، وكان الدينار الجَيْشي يشكل وحدة قياس العبرة، وكان مسمَّى لا حقيقة، استخدمه أهل ديوان الجيش كأداة لحساب عبرة الإقطاعات والمفاضلة بينها، وفي الفترة الأخيرة من العصر المملوكي، لم تعد العبرة تعبر بشكل دقيق عن العائد الحقيقي للإقطاع.(القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص ٤٤٢؛ محمد فتحي الزامل: التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٧).

(٧٦) لم أعثر على تعريف لها فيما توفر لدي من مصادر.

(٧٧) بَبْشاي: ذكرها ياقوت باسم بَبْشي، بلدة في كورة الأسْيوطيَّة، وكشف الأستاذ محمد رمزي أن اسمها الصحيح بيشناي، وهي قرية النخيلة الحالية بمركز أبوتيج في محافظة أسيوط، حيث أشار إلى أن نهر النيل قد أخفى معالم القرية الأصلية فاضطر سكانها إلى إنشاء القرية الحالية في حوض يسمى النخيلة، فعُرفت به.(معجم البلدان، ج١، ص٣٣٣؛ القاموس الجغرافي، مج١، ص١٤٣؛ مج٥، ص ١٧).

(٧٨) جزائر الجبل: وردت في التحفة أنها من الأعمال الإخميميَّة، وبالبحث تبين أن الجبل المنسوب إليه هذه الجزائر هو الجبل الذي يُعرف بجبل طوخ أو جبل الشيخ موسى الواقع على الجانب الشرقي من النيل تجاه نواحي النويرات وأولاد حمزة وأولاد جُبَاره الكائنة على الجانب الغربي من النيل بمركز جرجا، وأن الجزائر المذكورة قد انضمت إلى بعضها بسب جريان ماء النيل، ويتكون منها الآن الجزيرة الكبيرة المشتركة بين نواحي أولاد حمزة وجزيرة أولاد حمزة وأولاد جباره بمركز جرجا.(محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ١، ص١١٢، ٢٠٢-٢٠٣).

(٧٩) أبْنُود: قرية من قرى الصَّعِيد بالقرب من فقط، ذات بساتين ونخل ومعاصر للسكر.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٩؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص١٧٤).

(٨٠) أُدْفُو: أو إدْفو قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أُسْوَان وقُوص، وهي قاعدة مركز أُدْفُو بمحافظة أُسْوَان. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٢٦؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ٢١١).

(٨١) أصْفُوْن: قرية بالصَّعِيد الأعلى غربي النيل، وهي من القرى التابعة لمركز إسنا بمحافظة قنا.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٢١٢؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٥٢).

(٨٢) طَفْيس: والمقصود بها طَفْنِيس، وهي من القرى القديمة التابعة لمركز إسنا، وتُعرف بطَفْنِيس المطاعنة. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٥٦).

(٨٣) البُلْيَنا: مدينة على الشاطئ الغربي للنيل بصعيد مصر، وهي قاعدة مركز البُلْيَنا بمحافظة سوهاج. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٣؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج٥، ص٩٦-٩٧).

(٨٤) الحَرَجَة: ناحية قديمة تابعة لمركز البُلْيَنا، وقد انقسمت في سنة ١٨٩٩م إلى ناحيتين، إحداهما هذه وهي الأصلية وعُرفت بالبحرية بالنسبة إلى موقعها من الحَرَجَة قبلي، وهي المستجدّة.(محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ٩٧).

(٨٥) الجبلين: كانت هذه الناحية غربي النيل بين إسنا وأرمنت تحت جبل الشيخ موسى، وقد عُرفت هذه الناحية في عهد العرب باسم الجبلين، وفي العصر العثماني سميت باسم المطاعنة، نسبة إلى جماعة عرب المطاعنة المستوطنين بها. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٥٦-١٥٧).

(٨٦) جزيرة الدير وأم علي: والمقصود بها قرية الدير، وهي من القرى القديمة التابعة لمركز إسنا، ولا يزال ضمن أحواضها، حوض الجزيرة، وحوض جزيرة علي. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٥٤).

(٨٧)دَنْدَرا: أو دَنْدَرة، من المدن القديمة الواقعة غربي النيل بصعيد مصر، غربي مدينة قنا.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٧٧-٤٧٨؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص١٧٦).

(٨٨) شَطَفَنْيَة: أو شَطَفَنْبة، من القرى القديمة، اسمها الأصلي شَدُونْبة، تقع غربي النيل بالقرب من أرمنت، وأطلق عليها في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، اسم شَطَفَنْيَة، وبعد ذلك في سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م، ألغيت وحدتها من عداد النواحي الماليةة، وأضيف زمامها إلى أرمنت، وأصبح اسمها المَرِيس.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٢٩؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج١، ص٢٩٨؛ مج ٥، ص ١٦٣-١٦٤).

(٨٩) فَرْجُوط: أو فِرْشُوط، من القرى القديمة على شاطئ النيل الغربي بالصَّعِيد، وكانت قاعدة لقسم فَرْشُوط، إلى أن نقل منها ديوان القسم إلى نجع حمادي سنة ١٨٨٦م.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٥١؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٩٧-١٩٨).

(٩٠) قصر بني كُلَيْب: من القرى القديمة بصعيد مصر تقع شرقي النيل قرب فاو، وفي دفاتر الروزنامة القديمة سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م، وردت باسم قرية القصر والصياد، وهما قريتان يجمعهما ناحية مالية واحدة، باسم القصر لصياد، وانفصلا سنة ١٨٨٢م. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٦٢؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ٥، ص ١٩٤-١٩٥).

(٩١) عَيْذَاب: ثغر على ساحل البحر الأحمر، وهي مرسى المراكب القادمة من عدَن إلى الصَّعِيد، وكانت طريق الحج المصري في القرون الوسطى يسير إليها الحجاج من قوص، وعند عَيْذَاب يجتازون البحر الأحمر إلى جدة ومنها إلى مكة.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٧١؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج ١، ص ٣٣٨-٣٣٩).

(٩٢) وكان للعُربان حِصَص في ناحيتين هما: مَنْسَفِيس بالأُشْمُونين، والأراضي المُستجدة عن أرغون النائب بالأسْيوطيَّة.(ابن الجيعان: التُحْفَة السَّنيَّة، ص١٨٣، ١٨٥).

(٩٣) ابن تَغْري برْدِي: حوادث الدهور، ورقة ١٥٠ و؛ ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص٢٨؛ عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج٤، ص٣٦.

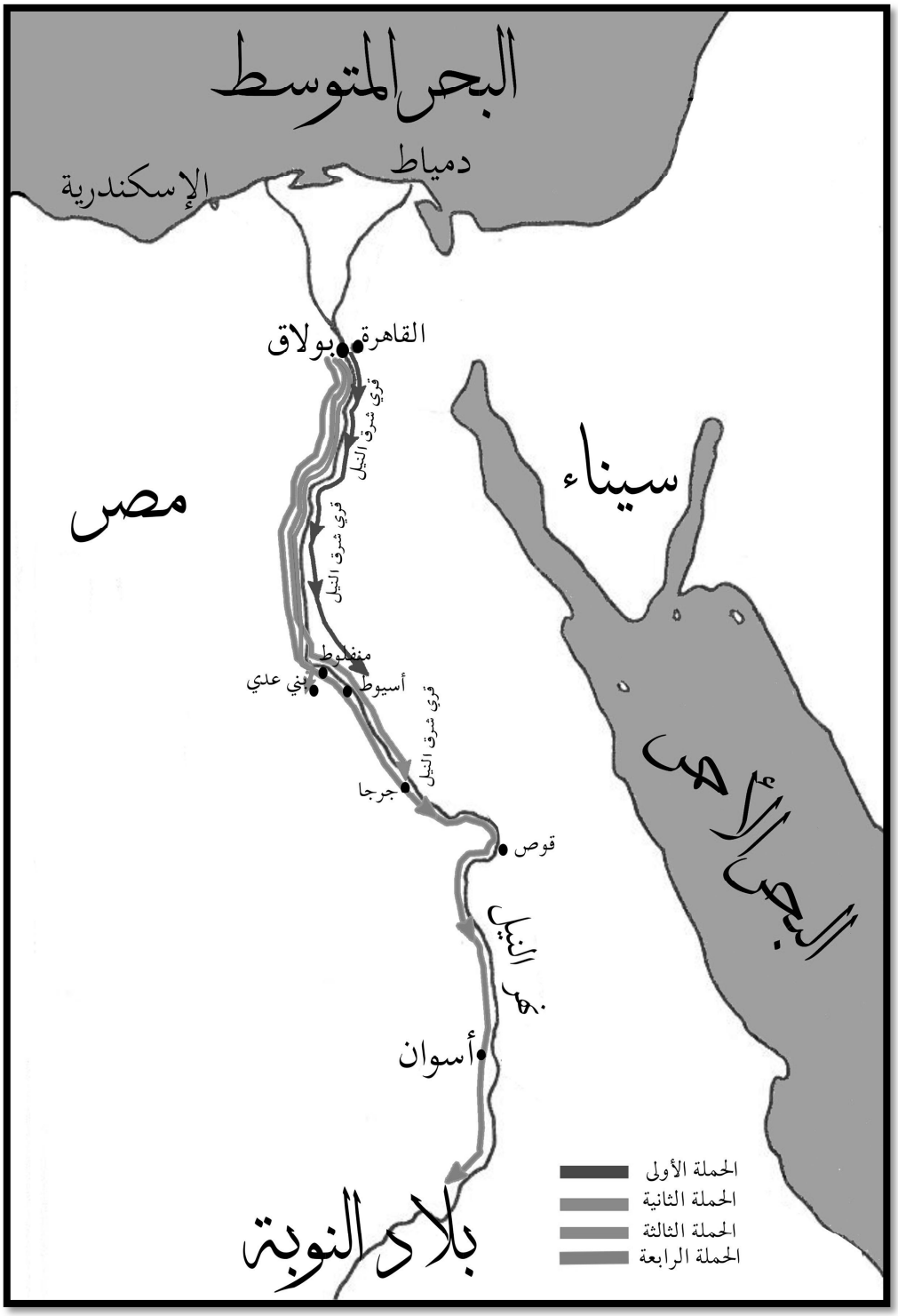

خريطة رقم (١) خطّ سَيْر حملات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار على صَعيد مِصْر

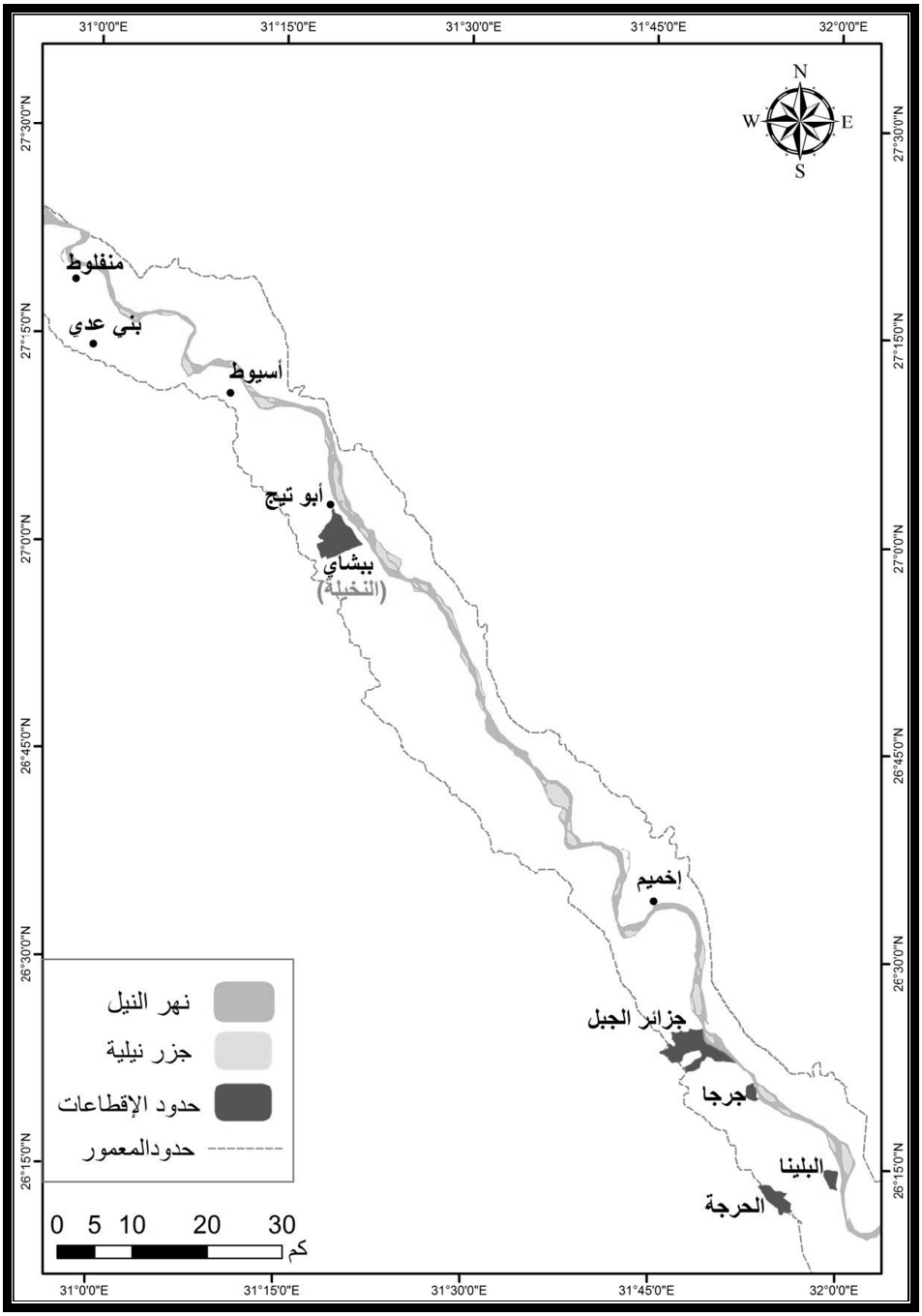

خريطة رقم (٢) إقطاعات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار في صَعيد مِصْر وتضم نواحي: بَبْشاي، وجزائر الجبل، وجِرْجا، والبُلْيَنا، والحرجة.

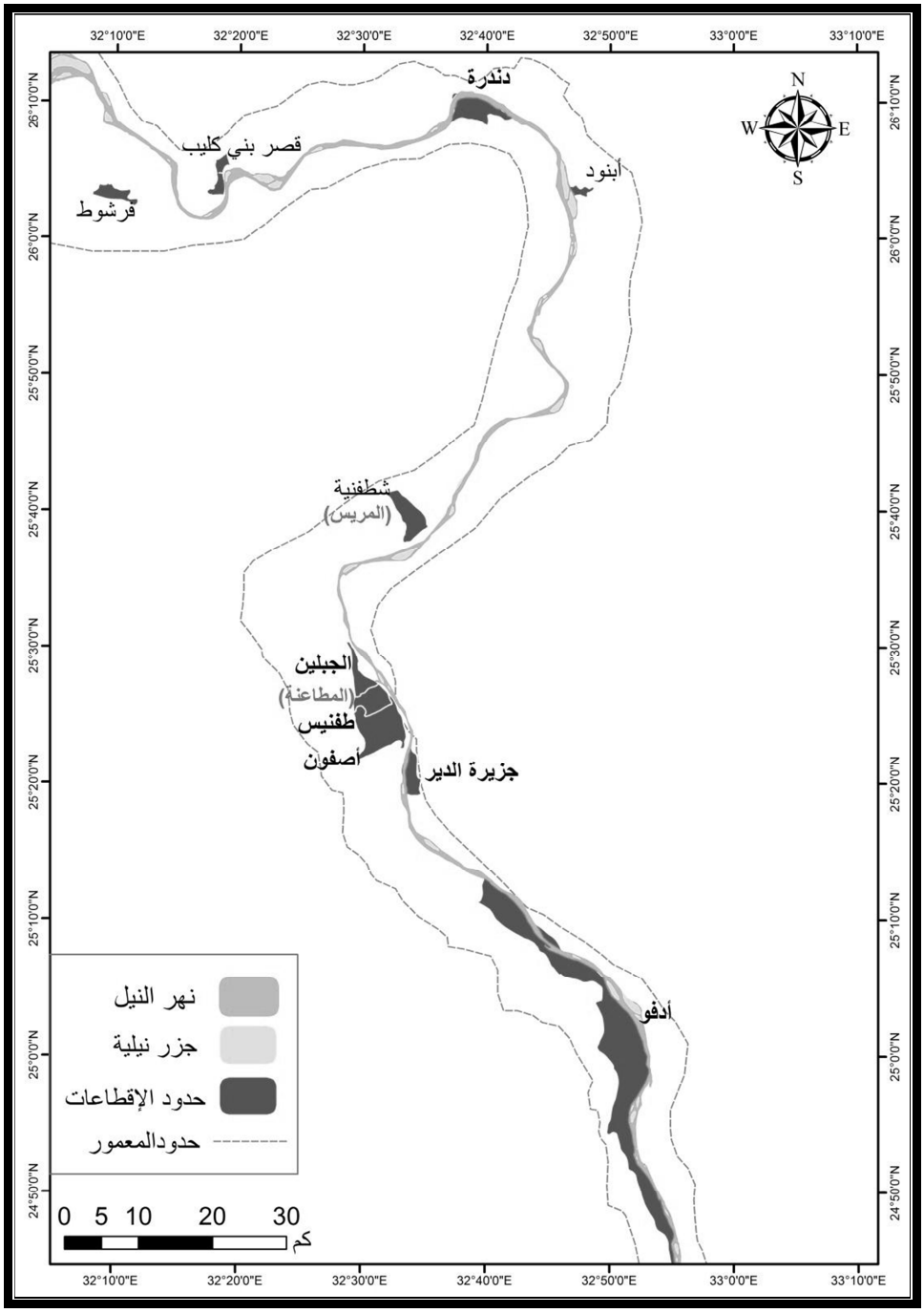

خريطة رقم (٣) إقطاعات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار في صَعيد مِصْر وتضم نواحي: فَرْشُوط، وقصر بني كُلَيْب، ودَنْدَرة، و أبْنُود، و شَطَفَنْيَة، والجبلين، و طَفْنِيس، و أصْفُوْن، وجزيرة الدير، وأُدْفُو.

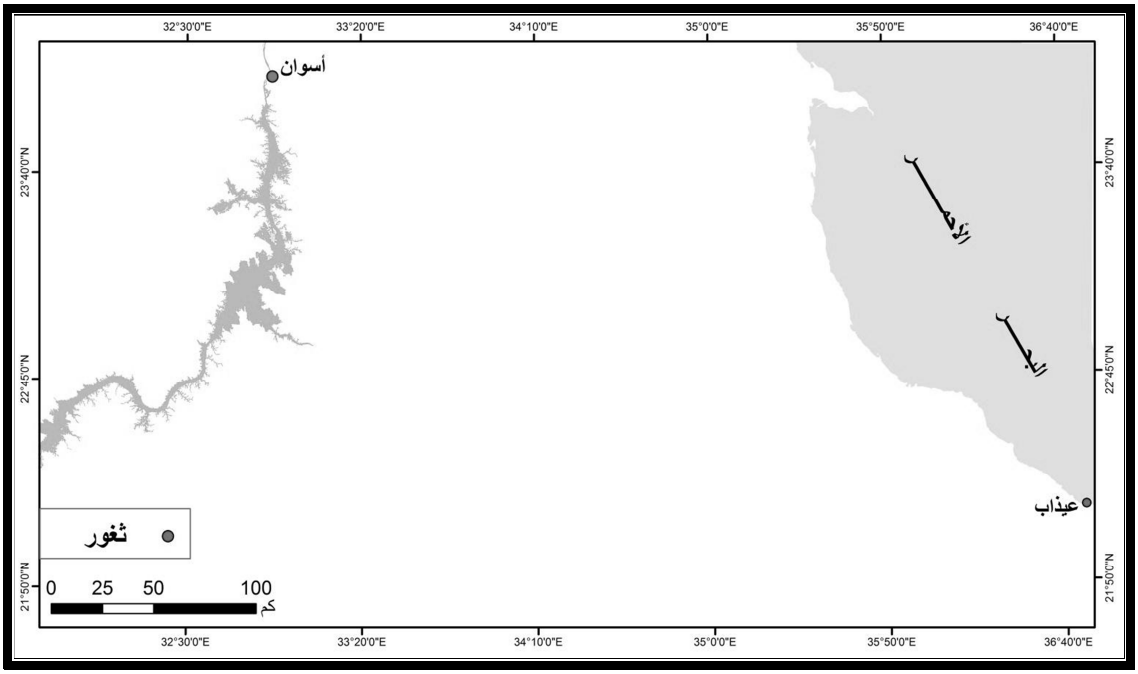

خريطة رقم (٤) إقطاعات الأمير يَشْبك من مَهدي الدَّوَادَار في صَعيد مِصْر وتضم ثغري أُسوان وعَيْذَاب

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

-البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن، ت ٨٨٥ هـ/١٤٨٠م):

-تاريخ البقاعي، (حوادث سنة ٨٧٠ إلى سنة ٨٨٠هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٦٣١ تاريخ.

-ابن تَغْري برْدِي(جمال الدِّين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

-حوادث الدهور في وقائع الدهور، مخطوط محفوظ بمكتبة الدولة ببرلين رقم Wetzstein I 1.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

ابن إياس(أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م):

- بَدائع الزُّهور في وَقائع الدُّهور، ٥ أجزاء، حَقَّقَها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ابن الجيعان(شرف الدِّين أبو زكريا يحيى بن شاكر بن عبد الغني، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

- التُّحْفَة السَّنِيَّة بأسماء البلاد المصرية، مطبوعات الكتبخانة الخديوية، المطبعة الأهلية، القاهرة، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م.

السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن بدر الدِّين محمد، ت ٨٦٨هـ/١٤٦٤م):

- الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصَّار، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

السخاوى(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م):

-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ٣ أجزاء، تحقيق بشار عواد وعصام فارس الحرستاني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن شاهين(غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري، ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م):

-زُبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ٢٠١١م.

ابن الصيرفي(علي بن داود الجوهري، ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ابن فَضْل الله العُمَري(شهاب الدِّين أحمد بن يحيى، المتوفَّى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٥م.

عبد الباسط بن خليل(زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، ت٩٢٠هـ/١٥١٤م) :

-نيل الأمل في ذيل الدول، ٩ أجزاء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.

-المَجْمَع المُفَنَّن بالمُعجم المُعَنْوَن، جزآن، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠١١م.

-الرَّوض البَاسم في حَوَادث العُمُر والتَّراجِم، ٤ أجزاء، تحقيق عمر عبد السلام تَدمُري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صَيدا-بيروت، ٢٠١٤م.

القَلْقَشَنْدي(أبو العباس أحمد بن على، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

-قلائد الجُمَان في التعريف بقبائل عرب الزَّمان، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة-بيروت، ١٩٨٢م.

-صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، ١٤ جزء ، الطبعة الثالثة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

المَقْريزي(تَقيِّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

-البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٦م.
- المَواعظ والاعتِبَار في ذكر الخِطَط والآثار، قَابَلَهُ بأُصُوله وأعَدَّهُ للنَّشر أَيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَة الفُرقَان للتُّراث الإسلاَمي، لندن، ٢٠١٣م.
- السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج٣-٤(٦ أقسام)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

ياقُوت الحَمَوي(شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبدالله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

-معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ثالثًا: المراجع العربية:

إبراهيم علي طرخان:

-مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

حسن الباشا:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

حكيم أمين السيد:

- قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

علي باشا مُبارك:

-الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.

-ماهر أحمد مصطفى:

-صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م.

محمد أحمد دهمان:

- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.

محمد أحمد محمد:

- مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد جمال الشوربجي:

- «قبيلة هَوَّارة في مصر في عصر المماليك الجراكسة(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) »، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، عدد ١٣٩- السنة ٣٥، ٢٠١٧م.

محمد رمزي بك:

-القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الطبعة الثالثة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

محمد فتحي الزامل:

-التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م

محمود محمد الحويري:

- أسوان في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.